٣٣ الفيضـــانـــات

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي ينزل الأمطار على عباده ، ويمتن عليهم بذلك، ويرحمهم بهذه الرحمة العظيمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾(النمل:٦٠) .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (الشورى: ٢٨)، وينزله في وقت حاجتهم ،فقرهم إليه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الروم: ٤٩-٥٠). فسماه الله رحمة كما في هذه الآية.

وكيف لا يكون الغيث رحمة، وهو سبب في إحياء الأرض، وأصل لكل الأحياء كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور: ٤٥).

وقد جاء في الصحيحين[1] عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « **قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب** » .

أيها المؤمنون: وقد جعل الله الأمطار أحياناً عذاب على بعض الناس، فيدمر به كثيرًا من المدن والقرى ، ويهلك به كثيرًا من المزارع ، ويخرب

(١) البخاري برقم (٨٤٦) ومسلم برقم (٧١).

به كثيرًا من البلاد ، والبيوت ويجعله سببًا في موت كثيرٍ من البشر كما سمعتم في كثيرٍ من بلدان العالم ، وكان ضحية هذه الأحداث المروعة عشراتِ الآلاف من القتلى ومئاتِ الآلاف من المشردين اللذين أصبحوا في الطرقات والشوارع بدون مأوى ، وهذه الأحداث فيها من العبر ، الشيء الكثير والآيات لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من مثل هذه الأحداث ، وعن أبي اليسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق، والحرق، والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا**»[(١)] .

وفي الصحيحين [(٢)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول – أي : إذا خاف الضرر بالماء – «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر**» .

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : أتت النبي – ﷺ – بواكي فقال: «**اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريئًا نافعًا غير ضَار عاجلًا غير آجل**». قال فأطبقت عليهم السماء.[(٣)]

وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « **كان النبي ﷺ إذا تخيلت السماء، تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : **فسألته، فقال: « لعله، يا عائشة كما قال قوم عاد :**

(١) أبو داود برقم (١٥٥٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) البخاري برقم (١٠٣٣) ومسلم برقم (٨٩٧)
(٣) أبو داود برقم (١١٦٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف : ٢٤) » [١].

وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكا حتى أرى منه لهواته [٢] ، إنما كان يتبسم، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: « **يا عائشة ما يؤمني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾** [٣] .

وعن عائشة، زوج النبي ﷺ ، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح، قال: «**اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به**» [٤] .

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ ، كان إذا رأى ناشئًا في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة، ثم يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من شرها**» فإن مطر قال: «**اللهم صيبًا هنيئًا**» [٥] .

وفي رواية للبخاري «**اللهم صيبًا نافعًا**» [٦] ، والصيب : هو المطر الذي يجري ماؤه كما قاله النووي في الأذكار.

---

(١) مسلم برقم (٨٩٩) .
(٢)جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك وترى عند الضحك الشديد. الفتح ج٩ (٥٥٠).
(٣) البخاري برقم (٤٨٢٩) .
(٤) مسلم برقم (٨٩٩) .
(٥) أبو داود برقم (٥٠٩٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٦) البخاري برقم (١٠٣٢).

أمة الإسلام والقرآن ، والواجب علينا أن نعتبر ، ونتعظ بمثل هذه الحوادث المهيلة ولا تكن كما قال الله تعالى في المشركين: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٦).

وهذه الفيضانات ، والزلازل من باب الابتلاء والاختيار للعباد كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(الأعراف: ١٦٨).

وكما قال عز شأنه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة : ١٥٥ - ١٥٧).

ومن مات في هذه الفيضانات ، وهو من عباد الله الصالحين ، فإنه من الشهداء أو ترجى له الشهادة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما جاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن رسول الله ﷺ ، قال: «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**» .

الغريق : هو الذي يموت غرقًا في الماء.

وهذه الأحداث والمصائب مقدرة من الله رب العالمين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن : ١١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى

(١) البخاري برقم (٢٨٢٩) ومسلم برقم (١٩١٤).

كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد : ٢٣).

إخوة الإيمان والإسلام : لا ننسى أن هذه المصائب ، والأحداث هي والله بسبب الذنوب والمعاصي كما قال تعالى :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ (الشورى : ٣٠).

وقد قال بعض السلف : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة.

ولقد كان يقول الضحاك بن مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نعلم: ما نعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ، ثم قرأ الضحاك :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ (الشورى : ٣٠).

ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن الكريم.[1]

ولقد كثرت المعاصي والذنوب في أوساط المجتمعات الإسلامية ومن ذلك :

١- الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.
٢- عقوق الوالدين.
٣- قتل النفس المحرمة .
٤- الزنا.
٥- البدع.
٦- قطيعة الرحم .
٧- قطع الصلاة.
٨- الظلم.
٩- الربا.
١٠- اللواط.
١١- التبرج.
١٢- السفور.
١٣- وجود آلات اللهو والدمار مثل الدشوش ، وغيرها من الوسائل التي تنقل الفساد والرذيلة بين أوساط الشباب والشابات -إلا من رحم ربي-.

(١) تفسير ابن كثير ج٤(١١٨).

وغير ذلك من الذنوب والمعاصي.

وهذا الزمان قد قلَّ فيه الناصحون ، وغاب فيه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر إلَّا من وفقه الله ورحمه.

وقد جاء في سُنن أبي داود [١] عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب**» .

وجاء في الصحيحين [٢] عن زينب بنت جحش، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : يا رسول الله ﷺ « أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**» .

نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) أبو داود برقم (٤٣٣٨) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) البخاري برقم (٧١٣٥) ومسلم برقم (٢٨٨٠).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، يقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٠) .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام : ٦٥) .

وقد ثبت في الصحيح[1] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ : «**هذا أهون - أو هذا أيسر -**» .

إن الله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير قادر على أن يهلك العباد في لحظة واحدة وصدق الله القائل في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر : ٤١).

---

(١) البخاري برقم (٤٦٢٨) .

إخوة الإيمان والإسلام ، لقد أهلك أمماً بالفيضانات ، والطوفان ، والغرق ،وانظروا ما جرى لقوم نوح ، وكيف عذبهم الله وأهلكهم بالغرق ، وهذه بعض الأدلة في ذلك: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (القمر : ٩ -١٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحاقة : ١١ -١٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (العنكبوت : ١٤- ١٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (هود : ٤١- ٤٤).

وهذا فرعون وقومه أغرقهم الله في صبيحة واحدة، فلم يبق منهم أحدًا قال ربنا جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه في كتابه المبين: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾(الأعراف: ١٣٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الزخرف: ٥٥ -٥٦).

وهذه أمة عاد المستكبرة دمرها الله تدميرًا ، وكان هلاكها بالريح العاتية لما أقحطت بعثت رجلًا يستسقى لها اسمه قيلا ، فنزل على بكر بن معاوية ، فسقاه الخمر ، وغنته الجرادتان ، أي المغنيتان شهرًا كاملًا ، ثم خرج يستسقي بقومه ، فأتى جبال تهامة ، أي مكة ، فقال : « **اللهم إني لم آتك لمريض ، فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، فاسقِ عبدك ما كنت مسقيه واسق معه بكر بن معاوية يشكر له إحسانه بالخمر الذي سقاه فرفع له سحابات، فقيل له اختر إحداهن ، فاختار السوداء منهن ، فقيل له خذها رمادًا رمددًا لا تذر من عاد أحدًا**» وهو حديث صحيح [١] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الذاريات : ٤١ -٤٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الحاقة : ٦- ٨).

وهذه بلاد سبإ موطن بلاد ملوك اليمن كانوا في نعمة عظيمة ورغد من العيش أعطاهم الله الأرزاق ، والمواشي وكثرة الثمار والمياه ، وأرسل إليهم الرسل ، فكذبوا وأعرضوا ، فعاقبهم الله بالغرق ، وأرسل عليهم السد ، ودمرهم تدميرًا ، وأهلكهم هلاكًا عظيمًا كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٢٧٣).

وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سبإ: ١٥ -١٧).

اللهم ادفع عنا، وعن المسلمين البلاء والسوء والأسقام والكرب والفتن والمحن، فلا يدفعها أحد غيرك، واصرف عنا برحمتك السوء بما شئت، وكيف شئت فأنت القادر على كل شيء.

اللهم وفقنا لصالح الأعمال، ونجنا من جميع الأهوال، وأمنا من الفزع الأكبر يوم الفزع والزلزال.

اللهم الطف بنا يا لطيف، واشف بلطفك مرضانا، وارحم بفضلك موتانا، واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا وأصلح لنا شأننا كله.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين، ولا مضلين سلمًا لأوليائك حربًا على أعدائك سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.